الفصل الاول

النظام الاداري

واجهت الامبراطورية الرومانية في بحر القرن الثالث الميلادي اضطرابات وانقسامات سياسية وعسكرية قطعت أوصالها. وكان من نتائج ذلك ان اصيبت الادارة بعطل شديد بحيث اصبحت عاجزة عن القيام بوظيفتها على نحو مرضي، وليس هناك حاجة الى اثبات مدى الضرر والخطر الذي تتعرض له امبراطورية عالمية بدون ادارة قوية. ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان اشد ماكانت الامبراطورية حاجة اليه رجل يصلح ادارتها، وان دقلديانوس كان ذلك الرجل. فاذا لم يكن لدقلديانوس Dicoletian مواهب عسكرية تخلد اسمه في تاريخ روما الحربي، فقد كان له من مواهب الادارة والتنظيم مامكنه من القيام باصلاحات في نظم الادارة والحكم والاقتصاد سادت من بعده مدة ثلاثة قرون تقريباً، واصبح عهده يمثل نقطة التحول في التنظيم الاداري الامبراطوري (١).

كان الاساس في التنظيم الاداري الذي وضعه دقلديانوس وقسطنطين من بعده، هو الفصل التام بين واجبات القائد العسكري والحاكم المدني. واقترن هذا بانقاص حجم الولايات بوجه عام حتى لاينفرد القائد او الحاكم بسلطة ربما تخلق منه

---

(1) Runciman, Byzantine civilization, p. 20,

انظر في ذلك الباب الاول الفصل الاول

منافساً خطراً للعرش. وتؤدي الى السلطة في يد الامبراطور (٢). فتكونت لهذا الغرض هيئة حاكمة منظمة. واصبح الحاكم المطلق مصدر التشريع.

فجعل للناس الحق في استئناف القضايا اليه اذا لم تعجبهم الاحكام. فكان الامبراطور مصدر القانون والسلطات على السواء، يفسر القانون، ويضع حدود هذه السلطات التي منحت له.

لقد شهد التنظيم الاداري حوالي القرن الرابع الميلادي، ولاسيما في عهد الامبراطور ثيودسيوس الاول تطوراً ملحوظاً. فقد كانت الادارة مقسمة الى اربعة اقسام يسمى كل منها لواء، وعلى رأس كل منها امير لواء امبراطوري، وينقسم كل من هذه الاربعة بدوره الى عدد من الاقسام الادارية يشرف على كل منها نائب امير لواء، وكل قسم اداري من هذه الاخيرة ينقسم الى عدد من الولايات على كل منها وال يخضع عادة لنائب امير اللواء، وهذا الاخير يخضع لامير اللواء. وكان امير اللواء مسؤولاً امام الامبراطور. كان من واجبات امير اللواء تنفيذ القوانين الامبراطورية الصادرة من الامبراطور. كما كان له حق اصدار المنشورات بشرط الا تتعارض مع القوانين، فيقرر مايجب تحصيله من الضرائب كل سنة مع العلم بأن موافقة الامبراطور كانت ضرورية عند زيادة الضرائب او تخفيضها وكان يشرف على الولاة عن طريق نوابه (٣).

وكان كبير الوزراء في العاصمة رئيس الادارات كلها، فكان حرس القصر يخضعون لاشرافه، وكذلك كانت تخضع له دور الصناعة والدواوين والمراسلات الامبراطورية. اضافة الى عمله في توجيه السياسة الخارجية للدولة.

كان زمام العاصمة. القسطنطينية في يد محافظ المدينة، الذي تأتي مرتبته الادارية في الدرجة الثانية بعد وظيفة امير اللواء. وكان من واجبات المحافظ الاشراف على النظام والامن في العاصمة، كما كان مسؤولاً عن المهن والنقابات (٤).

---

(2) Ibid, p. 20.

(٣) نورمان بينز، الامبراطورية البيزنطينية ـــ ص ١٤٨

(4) Baynes and Moss, Op. cit, P. 282, Runciman, op. cit, p. 85.